



## العلوم الإسلامية: المحتوى ومناهج التدريس في ضوء الواقع وطموحات المستقبل

وهبة الزحيلي

تقديم:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:  
فهذا بحث توصيفي لواقع العلوم الإسلامية ومناهج التدريس، يبيّن ما عليه هذه العلوم في الجامعات الإسلامية، وتقييمها لتكوين شخصية المتعلم وبناء ذاته وفكره وشخصيته، ومعرفة مدى تفاعله مع معطيات التعليم والتربية التي يتلقاها، ورصد مؤشر نجاح المعلومات التي يتمّ تحصيلها في سنوات الدراسة المختلفة، وبيان مدى ما يمكن إدخاله من تعديلات عليها وتجديدها وتطويرها، في ضوء متطلّبات الحياة المعاصرة، وإيجاد المناخ الملائم لتكون علومنا الإسلامية أكثر فاعلية وإيجابية وتمازجاً ومواكبة مع ظروف العصر، بل وثباتاً أمام تحديات الشرق والغرب، والاختراق بامتداد ظلّ الحضارة الغربية وما تقتن به من إغراق مادي وبُعْدٍ عن الروحانيات، واستكبار واستعلاء من عتاة الغرب وأصحاب الكيد للإسلام، ومحاولة صهر كل من عداهم، وإهمال كل ما نعتزّ به من قيم، ومحاولة تشويهه أو سحقه وتبديده في سيل ما يسمّى بالعولمة الثقافية وغيرها، بل والجرأة على المطالبة بتغيير المناهج وأساليب التربية في البلاد الإسلامية بما يتفق مع تقاليد الغربيين وانحرافاتهم، ومحاولة فرض مفاهيم في ممارسة أنماط الحياة كلها.

إننا أمام هذا التحديّ السافر والمخطط الخبيث ينبغي أن نكون أشدّ استمسكاً بثوابتنا الأصلية، ولا مانع من تغيير بعض الأساليب لتكون هذه الثوابت أكثر مرونة ومواءمة مع فلسفات الحضارة الحديثة، على ألاّ تذوب شخصياتنا ومفاهيمنا وقيمنا الثقافية المحلية ذات الجذور الدينية

المتينة، ويقتصر دورنا على مجرد التعمق في التحليل، وبيان الغايات والأهداف، وسلامة المقاصد والتصرفات، حتى لا يساء فهم الآخرين لنا، ويكون الحوار لا الصراع هو منهجنا وسبيلنا، مهما عانينا من شدائد، أو صبرنا على الأذى.

ولا تقتصر جهودنا في الجمع بين الأصالة والمعاصرة، وفي التفاعل بين قدسية القديم ذي المنزح الديني والأخلاقي وبين التحديث والتجديد، على علم دون آخر، وإنما تشمل حركة الإصلاح والنهضة مختلف العلوم الإسلامية وهي:

علوم العقيدة، وعلوم الشريعة، وعلوم الوسائل.

وإذا استطعنا تحقيق هذه الخطة المعتدلة حققنا شيئاً من طموحات النجاح، لأن الإسلام دين الوسطية والاعتدال، والبناء والعطاء، ومحاربة السلبيات وتصحيح المفاهيم المشوهة عن رسالة الإسلام وتاريخه، وتاريخ رجاله، وإبراز مساهماتهم الخيرة والبناءة في تقدم الحضارة، وصون حقوق الإنسان، والحفاظ على مباني العزة والكرامة، ومنع الأذى والضرر والإساءة لأي أحد، أو جماعة، فإن الإسلام دين لا يعادي المسيحية ولا غيرها، وإنما يعادي ممارسات التسلط والظلم والعدوان بمختلف أشكاله، كما يعادي ألوان التدخل المغرض في شؤوننا وعلومنا وثقافتنا.

هذا هو منهجنا السديد الرصين، المتمثل في قول الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله عز وجل: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وهذا يقتضي منا الحذر الشديد من المساس بالثوابت، وصون الكرامة، والحفاظ على تماسك الشخصية، والعمل الجاد على تقدم العلوم ورفع لواء النهضة، ومتابعة العمل مع الاهتداء بنور العقل والعلم النافع.

علوم العقيدة الإسلامية:

العقيدة في الإسلام أو الإيمان أساس الحياة الدينية والقلبية والإنسانية والاجتماعية، وهي مرتكز كل الأعمال المقبولة والصحيحة في الدنيا والآخرة، ومحور الرسائل الإلهية والوحي الذي أنزله الله تعالى في القرآن الكريم، فلولا العقيدة لما وجد الدين، ولولاها لما قام التشريع، وهي أس دعوة

١ - سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

٢ - سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وجميع الأنبياء والمرسلين السابقين عليهم الصلاة والسلام، فكلهم جاؤوا وأرسلوا من أجل غرس هذه العقيدة وتصحيحها، ونقض أضرارها من عبادة الشرك والوثنية والنجوم والكواكب والأشخاص وكل مظاهر المادة.

وقد ثار الجدل حولها وأقيمت مئات البراهين والأدلة والمناقشات لإثباتها، وإبطال الشكوك والأوهام والشبهات المثارة ضدها، فأمن بها المهتدون العقلاء، وكفر بها الضالون الجهلاء.

وأركان العقيدة أو عناصرها ستة، وهي الإيمان بالله وحده لا شريك له وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر (البعث يوم القيامة) والقدر خيره وشره، حلوه ومُره، وهي رصيد أو جوهر دعوة الأنبياء والرسول عليهم الصلاة والسلام، قال الله تعالى: ﴿ءَأَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (٣).

وفي أسئلة جبريل عليه السلام للرسول صلى الله عليه وسلم قال: "... فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت" (٤).

ويبحث في هذا العلم قضايا مهمة مثل خلق أفعال العباد وخلق الإنسان وخلق الدنيا وما فيها (٥). لكن بساطة هذه العقيدة لم تسلم بسبب طروء احتمالات وتساؤلات في العقول البشرية عن بعض شؤونها، لأنها غيبية غير ملموسة، ومجهولة غير معروفة في أغلبها، وتعتمد على السمع أو النقل أو الغيب، وغدّى هذه التساؤلات الفلاسفة اليونانية القديمة والحديثة حتى نشأ ما يُسمى بعلم الكلام الذي ظهر في الربع الثاني من القرن الثاني الهجري، ونما وازدهر في عهد الخلافة العباسية، ونضج في القرن الرابع الهجري.

وهو علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنّة والجماعة. وسرّ العقائد الإيمانية أو أساسها: هو

٣ - سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

٤ - أخرجه مسلم في صحيحه عن عمر رضي الله عنه، في كتاب الإيمان - باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة - حديث رقم ١٠٢ - طبعة جمعية المكنز الإسلامي، القاهرة سنة ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م: ٢٣/١، ٢٤.

٥ - حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، سنة ١٠١٧هـ -

١٠٦٧هـ، (د. ر. ت.): ١ / ٧٢١ - ٧٢٢.

التوحيد، (توحيد الله) وموضوعه ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته عند المتقدمين. وعند المتأخرين موضوعه: المعلوم من حيث ما يتعلّق به - وإثبات العقائد الدينية - تعلقاً قريباً أو بعيداً. وأرادوا بالدينية: المنسوبة إلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو الإسلام بالمعنى الخاص.

والكتب المؤلّفة فيه كثيرة، لكنه مثل علم المنطق والفلسفة اليونانية مشوّبٌ بمسائل وقضايا تعكر صفو النفوس والعقول، وأصبحت الآن تاريخية، وفيه اصطلاحات قد يعسر فهمها على الطلاب، وتحتاج لكثير من التبسيط، لذا كره بعض الأئمة مثل مالك والشافعي وأبي يوسف الاشتغال به، فتكون دراسته صعبة، وصار الاتجاه الحديث الغالب في الحاضر والمستقبل دراسة علم العقيدة بأسلوب مبسّط وواضح بحسب منهج القرآن الكريم والسنة النبوية، وهو منهج السلف الصالح، وهذا ما قرره الإمام أبو حامد الغزالي وأبو بكر الباقلاني.

بل إن زيادة التعمّق في علم الكلام بطريقة الأشاعرة والماتريدية، وأضدادهم المعتزلة مجرد تاريخ عابر، لم يعد البحث فيه ضرورياً في تكوين العقيدة، ولم يبق على آراء المعتزلة إلا الشيعة الإمامية، والإباضية في عُمان وگرداية وسط الجزائر وجزيرة زنجبار وبعض أجزاء في غرب طرابلس بليبيا.

ويكفي الاطلاع في مجال العقيدة من القديم على كتاب المنقذ من الضلال للغزالي.

وتكون دراسة العقائد في عصرنا في كتب معاصرة مثل كبرى اليقينيات للأستاذ محمد سعيد رمضان والعقيدة الإسلامية للأستاذ مصطفى الخن، وللشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني، والأستاذ عثمان ضميرية ونحوها من كتب الأساتذة في مصر وغيرها في رحاب كليات أصول الدين.

ويلحق بدراسة علوم العقيدة علوم أخرى مفيدة إذا درست على طريقة أهل الاعتدال دون الشطط والمغالاة أو التعمق غير المفيد، وهي: علم التصفّو، والفلسفة الإسلامية، وعلم النفس والتربية، وعلم الاجتماع والأخلاق، وعلم المنطق.

ويفضّل أن تدرس هذه العلوم في كتب إسلامية النزعة، وأن يكون المؤلف أو المصنّف لها سليم العقيدة، للبعد عن الشكوك والمسائل التي فيها مزلقة، قد لا يستوعبها الطلاب، ولعلّ منهج حجة الإسلام الإمام الغزالي ومدرسته في الماضي، وفيلسوف الإسلام المعاصر محمد إقبال أسلم منهج وأقومه في هذا المجال.

ويلاحظ هنا شيئان:

الأول: أن دراسة الأخلاق الإسلامية في طريق مأمون العاقبة تكون من مختصرات إحياء علوم الدين مثل منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي، وموعظة المؤمنين للشيخ جمال الدين القاسمي،

وكتاب الأخلاق الإسلامية للشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني الدمشقي، وأمثاله من الكاتبيين في بيان هذه الأخلاق وميزاتها ومقارنتها مع غيرها.

**والثاني:** أن علم التصوّف هو من العلوم الشرعية الحادثة في الملة الإسلامية، كما قال ابن خلدون، فهو علم يعرف به كيفية ترقّي أهل الكمال من النوع الإنساني في مدارج سعادتهم، والأمور العارضة لهم في درجاتهم، بقدر الطاقة البشرية.

والتصوّف الحميد: هو المتفق مع تعاليم القرآن والسنة، ومن أهمها العناية بذكر الله كثيراً، وشفاء النفس من الأحقاد والشوائب وأمراض القلوب، والإخلاص في عبادة الله تعالى، والاستعانة به وحده، والاستقامة على منهج الشريعة. وتكون دراسة هذا العلم في كتب حديثة معتدلة، مثل: التصوّف الإسلامي في جزئين للأستاذ زكي مبارك، وحقائق عن التصوّف للشيخ عبد القادر عيسى، ونحو ذلك.

ويمكن القول: بأن علم التصوّف وإن لم يدرّس في الجامعات، لكن الإقبال عليه في حلقات المشايخ في الزوايا والمساجد ودروس العلم الخاصة في المنازل وغيرها، موجود في كل بلد إسلامي، وتأثيره قوي لا ينكر على النفوس، كل ما في الأمر أنه ينبغي تنقيته من الدخيل أو الغريب أو الممارسة الشكلية غير الثابتة شرعاً في مجالس الذكر، حتى يظلّ محافظاً على جوهره والعناية بموضوعاته.

**علوم الشريعة:**

وهي كل المعلومات والمعارف التي لها صلة وثيقة بالشريعة الإسلامية التي لها الحاكمية على الأمة والمجتمع والأفراد، وقد تنوّعت علوم الشريعة الأساسية، وصارت عدة أقسام بعد استقلال بعضها عن بعض في أوائل القرن الثاني الهجري، حيث ظهرت مدرسة الحديث في الحجاز، وكان إمامها الأول سعيد بن المسيب ثم الإمام مالك بن أنس رحمه الله، ومدرسة الرأي في الكوفة، وإمامها الأول الصحابي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ثم الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت رحمه الله، وكان ذلك مقارناً لظهور الفرق السياسية من خوارج وشيعة<sup>(٦)</sup>.

قال ابن خلدون: "... وحين كان الكلام ملكة لأهله، لم تكن القوانين اللسانية التي هي علوم النحو والتصريف والبيان علوماً ولا قوانين، ولم يكن الفقه حينئذ يحتاج إليها، لأنها جبلة

---

٦ - الشيخ محمد علي السائيس: تاريخ الفقه الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ص ٦٩ وما بعدها، وعلي حسن عبد القادر: نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي، مطبعة العلوم، القاهرة، ١٣٦١هـ/١٩٤٢م، ص ١٠٦-١٨٩.

وملكة، فلما فسدت الملكة في لسان العرب، قيّدها الجهابذة المتجرّدون لذلك بنقل صحيح، ومقاييس مستنبطة صحيحة، وصارت علوماً يحتاج إليها الفقيه في معرفة أحكام الله تعالى<sup>(٧)</sup>. وأضاف ابن خلدون قائلاً أيضاً: "إن القرآن نزل بلغة العرب، وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه"<sup>(٨)</sup>. وعلوم الشريعة التي تدرس في الجامعات الإسلامية والعربية تشمل علم التفسير والقراءات، والحديث وعلومه وأهمها مصطلح الحديث ورجال الأثر والفقه الإسلامي المذهبي، والفقه المقارن، وأصول الفقه، والمدخل الفقهي، وتاريخ التشريع أو الفقه الإسلامي. وفي كل علم من هذه العلوم كُتِبَ كثيرة تتجاوز المئات، ولا سيّما علم التفسير، والحديث، والفقه وأصول الفقه، بعضها مخطوط وبعضها مطبوع، وهذه الكتب قسماً:

**القسم القديم والقسم الجديد.**

وتتفاوت هذه الكتب تبسيطاً وتيسيراً وتعقيداً، وسعة وشمولاً وتوسّطاً وإيجازاً، فمنها المطوّلات ومنها المختصرات أو المتون، ومنها الشروح والحواشي والتعليقات والتقريبات، وهذه طريقة القدامى، وتتميّز كتب الأوّلين ولا سيّما الأئمة المجتهدون بالإرسال واليسر والسهولة، ولكنها تحتاج إلى تنظيم وتبويب، أما كتب المتأخّرين فإن كانت متوناً فهي مكثّفة ومختصرة جداً، والشروح على المتون متفاوتة، فبعضها مطوّل وبعضها متوسّط، وبعضها موجز.

وتمتاز الكتب القديمة بالدقة والمتانة وكثرة المصطلحات وتأثّر بعضها، ولا سيّما علم الأصول، بمصطلحات المنطق وقواعده، لكن أغلبها يعاني في فهمها والتمرّس عليها الطلاب المبتدئون، فإذا ما حلّت العبارة، وفهم الاصطلاح، واعتاد الطالب فهمها وألّف طريقة عرضها وبيانها وأسلوبها، سهل عليه متابعة مضمونها، واستمتع بفوائدها المرصوفة كاللآلئ، وهذا يستدعي جهداً كبيراً، ومدة طويلة ليعتاد المتعلّم إدراك مضامينها، ويظلّ الطالب في النهاية - وإن تمرّس على فكّ مدلول العبارة - قليل التصور والإحاطة بالمشتملات الكلية وعمومات العلم ومداركه لكل مادة من المواد.

٧ - عبد الرحمن بن خلدون: مقدّمة ابن خلدون، وهي الجزء الأوّل من تاريخه المسّمى ب: بكتاب العبر، وديوان المبتدئ والخبر... تصحيح وتعليق: تركي فرحان المصطفى، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، (بدون)، ص ٤٥٤.

٨ - المرجع السابق، ص ٣٨.

لذا أصبح الكثير من الطلاب يتبرم بهذه الكتب، ويفضّل أسلوب العصر الواضح، والتميز بالمنهجية، سواء في المقدمات أو في مادة الموضوع ونهايته.

وصار الميل من أغلب الطلاب المعاصرين في بيان المادة العلمية إلى الكتب والمصنفات الحديثة لسهولة العبارة ويسر الفهم وإدراك المضمون إدراكاً شاملاً وناضحاً، وكأن مستقبل التعليم يتجه للكتب الحديثة فهماً وإفهاماً واستقلالاً واستمداداً وهضماً وتلقياً للمعلومات، كما أنها غنية بالأمثلة والتطبيقات الموضحة، والتي تربط الطالب بالواقع والحياة المعاصرة.

ولكن لا بد من التدرّب على نصوص من الكتب القديمة، للحاجة إلى الرجوع إليها، والتوثق من المادة العلمية الشاملة للجزئيات والتي قد لا تتوفر في الكتب الحديثة. ويكون الطريق الأمثل هو العناية بالكتب القديمة، والتمرس على معرفة منهاجها واصطلاحاتها، مع عرض المادة العلمية بالطريقة الحديثة المتميّزة بسهولة الأسلوب والمنهجية والتبويب والعناية بالأمثلة والتطبيقات المعاصرة أو الواقعية.

أما مناهج التدريس ومفردات كل علم من هذه العلوم فلا خلاف فيها غالباً بين القديم والحديث لأن الموضوعات واحدة، لكن تناولها وبيانها وأسلوب عرضها يختلف بين القديم الذي هو أكثر التزاماً ودقة، وبين الحديث الذي يتحرر أحياناً من إيراد بعض الموضوعات، ولا شك أن منهج القدماء أصح وأقوم إذا أُلّفه الطالب، ولكن يقتصر ذلك على طريقة الفروع والجزئيات، ويحتاج لصبر ومدة طويلة.

وسأورد هنا خصائص كل علم من العلوم الشرعية، ليظل الحفاظ على المادة العلمية هو الغالب، وأما الحدائث أو المعاصرة ففي الأسلوب وطريقة العرض والمناقشة والترجيح.

والطريقة التي ينبغي اتباعها في جميع العلوم الشرعية هو الجمع بين القديم والجديد، فيطلع الطالب على نصوص قديمة ليتمرس عليها، ويعرف أسلوبها ومنهجها ومصطلحاتها وتحليل عباراتها، وهذه طريقة التجزئة، ويضم إليها طريقة الكتب الحديثة بجمع شتات أغلب الموضوعات وربطها ببعضها، وبيان حكمتها التشريعية ومقاصد الشريعة فيها بحيث تصبح دراستها أقرب إلى النظرية منها إلى الفروع، وهي طريقة التنظير والتركيب، التي تساعد على تكوين فكر موضوعي أو نظري عام يرتسم في الذهن، فيصير الفقه مثلاً أقرب لطريقة الكتب القانونية والاستفادة من تبويبها وصياغتها، وتطبيقاتها المعاصرة بالأمثلة المرتبطة بالواقع.

وهذه هي طريقة كل علم من علوم الشريعة:

## ١ - علم التفسير:

هو العلم الباحث عن معنى نظم القرآن الكريم بحسب الطاقة البشرية والاستفادة من المأثور، ومراعاة ما تقتضيه قواعد اللغة العربية، والتنويه ببعض إشارات القرآن لمعطيات العلوم الحديثة من فلك وتشريح وطب واقتصاد وعلوم كونية وظواهر عامة. فيجمع ذلك بين التفسير بالمأثور، والتفسير بالمعقول.

**والمأثور:** هو ما مستنده النقل فقط، أي المنقول عن النبي المعصوم وعن السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين في القرون الثلاثة الأولى، وهو التفسير النقلي عن السلف لمعرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ومقاصد الآيات.

**والتفسير بالمعقول:** هو ما يعلم بالعقل ويرجع إلى طبيعة اللسان العربي من معرفة اللغة العربية والإعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب. وهذا النوع لا يستقل عن النوع الأول، لأنه هو المقصود بالذات، كتفسير جامع البيان للطبري والدر المنثور للسيوطي. والنوع الثاني مثل تفسير الكشاف للزمخشري والبحر المحييط لأبي حيان التوحيدي وتفسير البيضاوي والنسفي.

والجمع بين الطريقتين هو المرغوب فيه في عصرنا، كتفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، والفخر الرازي مفاتيح الغيب، وابن كثير تفسير القرآن العظيم.

والفرق بين التفسير والتأويل: أن الأول بيان وضع اللفظ، إما حقيقة أو مجازاً، كتفسير الصراط بالطريق، والتأويل: تفسير باطن اللفظ، فهو إخبار عن حقيقة المراد، والتفسير إخبار عن دليل المراد، مثل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ﴾<sup>(٩)</sup> تفسيره من الرصد والارتقاب، وتأويله: التحذير من التهاون بأمر الله تعالى، وترك الاستعداد للعرض على الله تعالى.

ودراسة التفسير تقتضي إيراد نصوص من الكتب القديمة والامتحان فيها، ولا بد أيضاً من الاستفادة من الكتب الحديثة، مثل آيات الأحكام للشيخ محمد علي السائس الذي يدرّس في كلية الشريعة بالأزهر، ومثل تفسير هذا الكاتب: التفسير المنير.

ومن فروع علم التفسير: علم معرفة المكي والمدني، والحضري والسفري، والنهارى والليلي، والصيفي والشتائي، والفراشي والنومي، والأرضي والسماوي، ومعرفة أول ما نزل، وسبب النزول، وغريب القرآن، ومعرفة إعرابه، والمحكم والمتشابه، والوجوه والنظائر، وهو اثنان وثمانون علماً<sup>(١٠)</sup>.

٩ - سورة الفجر، الآية: ١٤.

١٠ - طاش كبري زادة: مفتاح السعادة، مراجعة وتحقيق: الأستاذ كامل بكري والأستاذ عبد الوهاب أبي

النور، دار الكتب الحديثة، القاهرة، (بدون): ٢ / ٣٨٠ - ٥٩٤.



ويعنى بالتفسير الموضوعي في الطريقة الحديثة كموضوع الجهاد والأسرة والمعاملات والعقيدة والأخلاق ، والعلاقات الدولية أو الخارجية والقصة القرآنية.

فإذا درّس التفسير في كليات الشريعة، عني بالأحكام الشرعية، وإذا درّس في كليات أصول الدين، عني بالعقيدة والوعظ والإرشاد، وإذا درّس في كليات اللغة العربية أو الآداب، عني بالأسلوب والبلاغة والأدب، والإعجاز والبيان وطبيعته، والاستشهاد بالآية في تقرير أو توضيح معنى كلمة أو آية قرآنية، مما هو معروف في علم غريب القرآن والحديث، مثل معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير.

هذا هو الأمل والطموح، وأما إذا نظرنا إلى الواقع فقد نجد أن هذه التوجيهات قد لا تُراعَى في بعض الجامعات أو الكليات.

## ٢- الحديث وعلومه:

علم الحديث: علم يعرف به أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأحواله، وهو قسمان: علم رواية الحديث، وعلم دراية الحديث<sup>(١١)</sup>.

**الأول:** يبحث فيه عن كيفية اتصال الأحاديث بالرسول عليه الصلاة والسلام، من حيث أحوال رواته ضبطاً (ضبط الذاكرة) وعدالة (استقامة على منهج الشريعة) ومن حيث كيفية السند اتصالاً وانقطاعاً، وغير ذلك من الأحوال التي يعرفها نقادة الحديث. ومن أشهر كتبه: **مقدمة ابن الصلاح**، واشتهر بأصول الحديث. ويشمل هذا القسم دراسة موجزة لتاريخ رجال الأثر والطبقات وتراجم الأعيان، سواء طبقات وأعيان الصحابة والتابعين والأئمة والمجتهدين، أو طبقات علماء المذاهب، وطبقات علماء الأصول.

**والثاني:** وهو علم دراية الحديث: وهو علم يبحث فيه عن المعنى المفهوم من ألفاظ الحديث وعن المراد منها، فهماً مبنياً على قواعد اللغة العربية وضوابط الشريعة ومطابقاً لأحوال النبي صلى الله عليه وسلم، ومتفقاً مع مقتضى العقل والعلم، وقد عُني به شراح الحديث، مثل فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، وشرح العيني على البخاري، وشرح مسلم للنووي، والمنتقى على الموطأ للباقي الأندلسي، وتحفة الأحوزي شرح جامع الترمذي.

١١ - مقدمة ابن خلدون: ص ٤٤٠ - ٤٤٥، مفتاح السعادة، ٦٠/٢-٦٢، ١٢٨-١٤٩، كشف الظنون،

١/٦٣٥-٦٤٤، وانظر أيضاً كتب علم الحديث.

وكذلك سبيل السلام للعلامة محمد بن إسماعيل الصنعاني (شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام لابن حجر العسقلاني) ونيل الأوطار للعلامة محمد بن علي الشوكاني (شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار للعلامة مجد الدين عبد السلام المعروف بابن تيمية الجد). وهذان كتابان جامعان نفيسان.

وعلم الحديث كما ذكر ابن خلدون وغيره كثيرة، منها علم الناسخ والمنسوخ، مثل كتاب أبي جعفر النحاس، وغريب الحديث كالتحقيق لأبن الأثير، ومصطلح الحديث وأداته وتاريخ الرواة والجرح والتعديل، ومختلف الحديث ومشكله مثل مشكل الآثار للطحاوي، وعلم علل الحديث.

ومن أحسن الكتب الحديثية المصنفة في علوم الحديث: أصول الحديث، للأستاذ محمد عجاج الخطيب، ومنهج النقد في علوم الحديث، للأستاذ نور الدين عتر.

وواقع الدراسة في الجامعات في علوم الحديث جيدة وناضجة وشاملة، ولا سيما إذا اعتمد على الكتب المعاصرة فيها، سواء في دراسة دلالات الحديث، أو في التخريج والتحقيق، أو في مصطلح الحديث، ولكن لا بد من التطبيقات والأمثلة الوافية لإيضاح الفروق بين علوم الحديث، وتمارين الطلاب على كتب تخريج الأحاديث، مثل جامع الأصول لابن الأثير، ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيتمي، وجمع الفوائد لابن سليمان الروداني (محمد بن سليمان المغربي) وموسوعة أطراف الحديث (أحد عشر جزءاً)، للشبلي محمد السعيد زغلول.

### ٣- الفقه الإسلامي:

علم الفقه أسبق في الظهور من علم أصول الفقه، لأن الفقه ظهر في مجال الاجتهاد لدى الصحابة والتابعين ثم من بعدهم من أئمة الاجتهاد أو المذاهب. أما علم أصول الفقه: فلم يعرف تدوينه إلا بعد نحو قرن كامل على يد الإمام الشافعي في الربع الأخير من القرن الهجري الثاني.

وعلم الفقه: هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية. أو هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والندب، والحرمة والكراهة والإباحة<sup>(١٢)</sup>.

وأشهر مصنفات الفقه هي في المذاهب الثمانية (وهي مذهب جابر بن زيد إمام الإباضية، وجعفر الصادق، إمام الشيعة الإمامية، وزيد بن علي زين العابدين، إمام الزيدية، وأبي حنيفة ومالك

١٢ - مقدمة ابن خلدون: ص ٤٤٥-٤٥٨، مفتاح السعادة، ٢/٥٨٦-٦٠١، كشف الظنون، ١/١١٠ وما بعدها،

و ١٢٨٠/٢-١٢٨٧، ومقدمات كتب أصول الفقه للفرقة بين الأصول والفقه.

والشافعي وأحمد وداود الظاهري) وهناك أئمة آخرون كابن جرير الطبري والأوزاعي والليث بن سعد، لكن انقرض أتباعهم.

والفقه أنواع كما أبان الزركشي في أول كتابه القواعد، وهي معرفة أحكام الحوادث نصاً واستنباطاً، ومعرفة الجمع والفرق، وبناء المسائل بعضها على بعض، والمطرحات (وهي مسائل عويصة يقصد بها تنقيح الأذهان) والمغالطات، والتمتحنات، والألغاز، والحيل. ومعرفة الأفراد (وهو معرفة ما لكل من الأصحاب (تلاميذ المجتهد) من الأوجه الغريبة، وذلك من كتب الطبقات)، ومعرفة الضوابط التي تجمع جموعاً، والقواعد التي ترد إليها أصولاً وفروعاً، وهو علم القواعد الفقهية الكلية، وهذا أنفعها وأعمها، وأكملها، وأتمها.

أما علم الحيل الشرعية الذي هو باب من أبواب الفقه بل فنّ من فنونه كالفرائض (١٣)، فلا داعي له لأنه ينافي حقيقة الشريعة.

وأصبح علم الفقه المقارن متميزاً عن علم الفقه المذهبي، وفيه كتب قديمة ممتازة، مثل البحر الزخار لابن المرتضى، وبداية المجتهد لابن رشد، (الحفيد)، والمجموع للنووي، والمغني لابن قدامة، والإفصاح عن معاني الصحاح للوزير ابن هبيرة، ورحمة الأمة للدمشقي، و الطبقات الكبرى للشيخ الشعرائي.

وظهرت كتب جديدة فيه مثل: الفقه المقارن للشيخ محمد علي السائس وآخرين، والفقه على المذاهب الأربعة للجزيري، والفقه المقارن للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، والدكتور فتحي الدريني، والفقه الإسلامي وأدلته لكاتب هذه السطور.

ومع ذلك تختار نصوص من الكتب القديمة في كليات الشريعة، للجمع بين مزايا القديم والجديد، ويُعدّ كتاب بداية المجتهد هو الطليعة في الفقه المقارن، نصاً ومنهجاً. واستقل علم الفرائض، وأحكام الأسرة (الأحوال الشخصية) عن فقه العبادات والمعاملات والجنايات وطرق الإثبات والقضاء وعلاقات المسلمين بغيرهم في الدراسات الجامعية المعاصرة؛ وبما أن علم المواريث والأحوال الشخصية صدرت فيها قوانين، فإن الدراسة الحالية صارت تجمع بين الفقه القديم والفقه المقتن.

ودراسة الفقه بفروعه المختلفة يمكن أن تكون من الكتب القديمة في كل مذهب على حدة، وهو شيء حسن، ليتدرّب الطلاب على فهم هذه الكتب ومعرفة أساليبها وتحليل عباراتها، لأن أغلب

كتب الفقه القديمة مصوغة بأسلوب صعب لا تستسيغه أذواق الطلاب المعاصرين، ولكن لا بد من التمرس والتدرّب عليها، ليتمكن العالم من الرجوع إليها في المستقبل في مئات الجزئيات، في الكليات المتخصصة.

أما دراسة المعاملات ونظرية العقد والأحوال الشخصية في كليات الحقوق دراسة مقارنة بينها وبين القوانين المعتمدة، فهي أبسط وأيسر وأكثر صلة بالحياة الواقعية، وهي غنيّة بالأمثلة العملية المستمدة من قضاء المحاكم الشرعية وغيرها.

ومن فروع علم الفقه الأساسية عدا علم الفرائض والأحوال الشخصية: علم الشروط والمحاضر والسجلات الموضّح في بعض كتبنا كالفقاهي الهندية، وعلم القضاء الذي يعتنى به في تخصصات القضاء الشرعي، وعلم معرفة حكم الشرائع، وعلم الفتاوى الذي صدرت فيه كتب كثيرة قديمة ومعاصرة.

#### ٤- أصول الفقه:

هو معرفة دلائل الفقه إجمالاً، وكيفية الاستفادة منها، وحال المستفيد، أي المجتهد، أو هو القواعد التي يوصل البحث فيها إلى استنباط الأحكام من أدلتها التفصيلية، أو هو العلم بهذه القواعد. وموضوعه: الأدلة والأحكام، أي مصادر الأحكام الشرعية الكلية، والأحكام ثمرتها<sup>(١٤)</sup>.

---

١٤ - ملاً خسرو، الشيخ محمد فراهوز: مرآة الأصول في شرح مرقاة الوصول، طبعة إستنبول، تركيا: ٣٩/١، وانظر الأزيميري والإمام الشوكاني: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق: أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/٢، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م: ١٧/١-٢٤، وابن أمير الحاج: التقرير والتحبير على تحرير ابن الهمام في علم الأصول الجامع بين اصطلاح الحنفية والشافعية، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة، ١٣١٦هـ: ٢٦/١-٢٨، عضد الملة والدين: شرح العضد لمختصر المنتهى لابن الحاجب مع حواشي التفتازاني، والسيد الشريف الجرجاني، والشيخ حسن الهروي، المطبعة الأميرية ببولاق، ط/١، (د.ت): ٢٨/١، المنهاج للبيضاوي بشرح الإسنوي نهاية السؤل ومعه شرح البديخي مناهج العقول، مطبعة صبيح (بدون): ١٦/١، عبد القادر بن أحمد بن مصطفى المعروف بابن بدران الدمشقي، المدخل إلى مذهب أحمد، تحقيق: مجموعة من العلماء، إدارة الطباعة المنيرية بمصر، (بدون)، ص ٥٧، ٥٨، وانظر كتاب الباحث: أصول الفقه الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ط/١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م: ٢٣/١-٢٨، مقدّمة ابن خلدون، ص ٤٥٢-٤٥٨، مفتاح السعادة: ٥٩٨/٢، كشف الظنون: ١١٠/١ وما بعدها.

والمصادر كثيرة، أحصاها الشيخ جمال الدين القاسمي في تعليقه على رسالة الطوفي في المصالح المرسله، فبلغت نيفاً وأربعين دليلاً، منها أربعة متفق عليها عند جمهور الأصوليين وهي القرآن، والسنة، والإجماع، والقياس، ومنها سبعة أدلة مُختلفَ فيها في الظاهر، ومعمول بها في المذاهب فعلاً، وهي الاستحسان، والاستصلاح (المصالح المرسله) والعرف، ومذهب الصحابي، والاستصحاب، وسد الذرائع، وشرع من قبلنا. هذا ولا يستغنى في بحث العرف عن رسائل ابن عابدين المهمة جداً. وقد كثر التأليف في هذا العلم قديماً وحديثاً، سواء على طريقة المتكلمين (الجمهور) وطريقة الحنفية وهي طريقة الفقهاء، واستقرّ التأليف أخيراً ولا سيما في عصرنا على الجمع بين الطريقتين. والكتب الحديثة تشمل بنحو موجز مشتملات هذا العلم غالباً وتعنى بمصادر التشريع والحكم الشرعي بنوعيه: الوضعي والتكليفي. وتمتاز الكتب الحديثة بإضافة بعض الأمثلة والتطبيقات الجديدة بالإضافة للقديم منها.

وفروع علم أصول الفقه في الأصل: هي علم النظر (علم المنطق) وعلم المناظرة، وعلم الجدل، وعلم الخلاف: وهو الجدل الواقع بين أصحاب أو أئمة المذاهب (مثل أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد).

والفرق بين أصول الفقه وعلم الجدل: في المادة والصورة؛ فإن الجدل بحث عن مواد الأدلة الخلافية، وبحث في صورها، أما الأصول فيبحث في الأدلة ذاتها (أي المصادر) وفي ثمرتها المستنبطة منها وهي الأحكام الشرعية.

وكثر الخلاف بين المجتهدين باختلاف مداركهم وأنظارتهم في الفقه المستنبط من الأدلة الشرعية، خلافاً لا بد من وقوعه، لأسباب كثيرة: لغوية وشرعية وتاريخية تتعلق بدلالات النصوص، وبسند الحديث ورجالاته<sup>(١٥)</sup>، أما المقلدون وهم أغلب الأمة الإسلامية فلهم تقليد من شأؤوا منهم، لأنهم مطالبون بسؤال أهل العلم في قوله تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾<sup>(١٦)</sup>.

والطريقة السديدة في بيان هذا العلم هي: الجمع بين القديم والحديث في الكليات الإسلامية المتخصصة، ولا سيما في الدراسات العليا، كغيره من العلوم الشرعية، ليتعود الطالب فهم القديم ويرجع إليه بسهولة، ويحيط بمعطيات هذا العلم ولمس جدواه ومعرفة أمثلته الواقعية في العصر الحاضر.

١٥ - انظر للباحث أسباب اختلاف وجهات النظر الفقهية وهو بحث مطول، ط/ دار المكتبي، بدمشق.

١٦ - سورة النحل، الآية: ٤٣.

## ٥- المدخل الفقهي وتاريخ التشريع والقواعد الفقهية:

هذا من العلوم الشرعية الجديدة التي تُدرّس في الجامعات الحديثة، في الأزهر وغيره، وربما كان الكتاب الوحيد الذي جمع بين هذه الأقسام هو كتاب المدخل الفقهي العام في مجلدين للأستاذ الكبير الشيخ مصطفى الزرقاء رحمه الله، الذي تضمّن ثلاثة أقسام:

- مقدّمة تعريفية وتاريخية للفقّه الإسلامي.
  - النظريات الكبرى الأساسية في مبادئ الأحكام الفقهية.
  - القواعد الكلية، مرتّبة ترتيباً جديداً، ومشروحة بإيجاز.
- فكتاب مصطفى الزرقاء هذا كتابٌ نفيس يمتاز بالتحليل وإيراد الأمثلة الواقعية.

### ويشمل القسم الأول - أربعة أبواب:

- الأول: معنى الفقه وأقسام أحكامه.
- والباب الثاني: مصادر الفقه الإسلامي (المصادر الأساسية: الكتاب والسنة والإجماع والقياس) والمصادر التبعية (الاستحسان، والاستصلاح والعرف) ولم يبحث بقية هذه المصادر.
- والباب الثالث: بدء توسّع الفقه الإسلامي وتطوّره.
- والباب الرابع: أدوار تطوّر الفقه الإسلامي (سبعة أدوار) ومميّزاته.
- والقسم الثاني: النظريات الأساسية في مبادئ الأحكام الشرعية (نظرية الملكية، ونظرية العقود، ونظرية المؤيدات الشرعية المدنية والجنائية، ونظرية الأهلية والولاية، ونظرية العرف).
- والقسم الثالث: القواعد الكلية في الفقه الإسلامي، في بابين:

الأول: عموميات عن القواعد: معناها ومكانتها الفقهية، ولمحة تاريخية عن حركة تععيد القواعد في تاريخ الفقه الإسلامي وتدوينها.

والثاني: عرض وشرح القواعد الكلية في المجلة مجلة الأحكام العدلية التي ذكرت في مقدمتها لأبواب المعاملات ٩٩ قاعدة، ثم ألحق المؤلف في خاتمة الكتاب قواعد أخرى مرتّبة على حروف المعجم بحسب أوائل كلماتها. وعددها ٣١ قاعدة يغلب عليها أنها من قبيل الضوابط الفقهية، لا القواعد الكلية.

وقد أكمل الباحث النظريات المتقدّمة مضيفاً إليها نظرية الضرورة الشرعية، ونظرية الضمان، منذ أكثر من ست وثلاثين سنة.

ثم استقلّت هذه الأقسام عن بعضها فصارت تُدرّس في مقرّرات مستقلة لأهميتها وجدواها وتيسيراً على الطلّاب في إدراكها وفهمها والإفادة منها.

#### ٦- حاضر العالم الإسلامي ونظام الإسلام وتاريخ الفرق والأديان والمذاهب:

كان لكلية الشريعة بجامعة دمشق السبق في تدريس هذه المقررات الثلاثة، لأهميتها في تكوين طالب العلوم الشرعية وتوسيع أفقه ونظّرتّه، ثم انتقل تدريس هذه المقررات للأزهر وغيره من الجامعات.

أما حاضر العالم الإسلامي: فهو دراسة إجمالية عن جغرافية العالم الإسلامي لمعرفة تركيبته الاجتماعية، وأوضاع المسلمين فيه وفي غيره بصفة أقلّيات، سواء السياسية والاقتصادية أو الاجتماعية والتربوية والثقافية والعلمية.

وأما نظام الإسلام: فهو بيان بنية الإسلام في العقيدة والعبادة والاقتصاد والسياسة والاجتماع والتربية والأخلاق.

وربما يجمع هذين العلمين ما يسمى الآن: الثقافة الإسلامية، وهي متطلب جامعي لجميع الكليات.

#### ٧- علم الاجتماع والأخلاق وحقوق الإنسان ونحوها:

علم الاجتماع: هو أيضاً من مقررات كلية الشريعة بجامعة دمشق، لبحث نظرية المعرفة، وشؤون المجتمع، ودور المسلمين في تقدّم الحضارة، والكلام عن القيم والأخلاق الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية، وذلك يفيد المسلم فائدة ملموسة.

ويمكن الاطلاع على منهاج هذا المقرّر وما قبله في مناهج كلية الشريعة بدمشق.

وبالمناسبة بدأ تدريس مقرر "حقوق الإنسان" في الجامعات، لأهميته وجدواه. وكذلك

تدريس أصول المحاكمات الشرعية، والقانون المدني والجناحي المقارن.

#### ٨- السياسة الشرعية ونظام الحكم في الإسلام والعلاقات الدولية:

هذه العلوم أصبحت من ضروريات الثقافة المعاصرة ولا سيّما في الدراسات العليا، لمعرفة آفاق الفقه السياسي السنّي في الإسلام، وكيفية تكوين الدولة ونظام الخلافة والبيعة للخليفة، ونظام السلطات، وتنظيم القضاء والشورى والديمقراطية الإسلامية في مواجهة الديمقراطية الغربية وعلاقة المسلمين بغيرهم في الداخل والخارج.

وقد وجدت كتب نفيسة في هذه العلوم، مثل الأحكام السلطانية للمواردي الشافعي، ولأبي يعلى الحنبلي، وكتاب السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية لابن تيمية، والتركيز فيه واضح على الشؤون الداخلية في الدولة، وكتاب الحسبة لابن تيمية أيضاً، وكتاب الطرق الحُكُمية في السياسة الشرعية لابن القيم، أوضح فيه طرق الإثبات ومنهج القضاء. ومنها كتاب الدستور الإسلامي لأبي الأعلى المودودي، وكتاب النظريات السياسية الإسلامية للدكتور ضياء الدين الرئيس والعلاقات الدولية والسلم والحرب في الإسلام لهذا الكاتب.

#### ٩- الاقتصاد الإسلامي:

برز أخيراً في جامعاتنا ضرورة العناية بالاقتصاد الإسلامي إنتاجاً وتوزيعاً، ومعرفة طبيعة هذا النظام في الإسلام بمقارنته مع أنظمة الاقتصاد الأخرى من رأسمالية واشتراكية، وبيان طبيعة نظام الملكية، وشؤون السوق والإنتاج والصناعة والتجارة والزراعة والمصارف (البنوك) والتأمين، والربا والغرر، والميزانية العامة، والضرائب والزكاة، والرسوم الجمركية والشركات، والنظريات الاقتصادية الإسلامية في ذلك كله.

#### علوم الوسائل:

يطلق عليها في تعبير علمائنا السابقين علوم الآلة، أي الأداة التي لا بد منها في خدمة العلوم المتقدمة: علوم العقيدة، وعلوم الشريعة.

وهي علوم كثيرة اعتمدتها برامج التعليم العصري في مختلف الدول الإسلامية والعربية. ومن أهمها علوم اللغة العربية من نحو وصرف وأدب وبلاغة تشمل علم البيان والبديع والمعاني. والأدب يشمل دراسة الشعر الجاهلي والإسلامي والشعر الحديث، والنثر خطابة وكتابة أدبية للكُتَّاب الإسلاميين القدامى والمحدثين، بدءاً من الخطابة في العصر الجاهلي ثم الإسلامي ثم العصر الحديث ثم أنواع النثر والقصة.

ومن المعلوم أن تدريس اللغة العربية ضرورة واجبة لكل مسلم، لأن الإسلام والقرآن بلغة العرب، ولا يستطيع أحد الاستغناء عن هذه اللغة وتعلّم قواعدها وأصولها وتراكيبها، لأن ذلك يفيد فائدة ملموسة في فهم الإسلام، ولا سيّما المصدران الأساسيان وهما القرآن الكريم والحديث النبوي، وما يتبعهما وهو التفسير وعلومه، والحديث ومصطلحه وأصوله.

وفي دراسة قواعد اللغة كان العلماء يُعَنَوْنَ بألفية ابن مالك وشرحها كشرح ابن عقيل، وكتب ابن هشام الأنصاري، مثل مغني اللبيب، و أوضح المسالك، وشرح شذور الذهب.



واليوم وضعت كتب كثيرة حديثة، من أشهرها جامع الدروس العربية للشيخ مصطفى الغلايني. ويلاحظ أن من أهم عوامل النجاح في فهم اللغة العربية للعرب وغيرهم تبسيط قواعد النحو والصرف وإيراد الأمثلة، والتدريب على الإعراب، ويحسن أن يحال كلُّ طالب على المعجم اللغوية الموثوقة مثل المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية في القاهرة، وكذلك معجم اللغة العربية في النحو والصرف للشيخ عبد الغني الدقر.

ولا بد من الاطلاع على تاريخ الأدب العربي بصفة إجمالية، ويحسن إحالة الطلاب في عصرنا على كتب الأدب الحديث، مثل كتب المنفلوطي والرافعي والزيات. ومن الكتب القديمة: كتاب البيان والتبيين للجاحظ، والكامل في اللغة والأدب للمبرد النحوي. ودراسة اللغة العربية تحتاج إلى دراسة البلاغة العربية وأساليبها والعروض وفنون الشعر، والتعبير والخط والخطابة.

ومما لا شك فيه أن ما يسمى بالعلوم العصرية هي علوم آلات، ولكن دراستها من الناحية الإسلامية فيها فائدة كبيرة وضرورية.

وفي مطلعها: علم السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي والعربي والتاريخ الوسيط والحديث، ومنها علم الحساب والهندسة والفيزياء والكيمياء ونظرية المادة، فإن هذه العلوم - ولا سيما علم الحساب - يحتاج إليها كل إنسان في حياته العملية، وبخاصة علم المواريث والزكاة والتجارة.

ومنها علم الفلك والكواكب الذي يفيد في التعرف على الكون والتوقيت للصلاة والصيام والحج والسفر والإقامة ومعرفة قيمة الزمن والوقت الذي لم نجد ديناً آخر غني بقيمة الوقت لأداء الفرائض وغيرها مثل الإسلام، ومن علائم ذلك تقسيم أجزاء اليوم وشغلها بالصلوات الخمس، وتقسيم الشهور وحساب وقت الصيام، وتقسيم السنوات وحساب وقت الحج والعمرة.

ومن الوسائل: علم المنطق الذي تخللت اصطلاحاته علوماً إسلامية، ومنها علم العقيدة وأصول الفقه والفقه.

ومن هذه العلوم المعروفة قديماً ما يسمّى علم الحكمة: وهو علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر بقدر الطاقة البشرية، وموضوعه الأشياء الموجودة في الأعيان والأذهان.

والحكمة نوعان: حكمة عملية: وهي العلم بأحوال الأشياء التي تؤدي إلى إصلاح المعاش في الدنيا.

وحكمة نظرية: وهي ما يؤدي إلى إصلاح المعاد، لأن المقصود منها ما حصل بالنظر، وتختص بالغيبيات<sup>(١٧)</sup>.

ولعل من الكتب المفيدة فيه كتاب حجة الله البالغة لشاه ولي الله الدهلوي.

وقد دخلت موضوعات هذا العلم اليوم في علوم أخرى كالعقيدة والاقتصاد ونحو ذلك. ومن الوسائل المهمة ولا سيّما في الدراسات العليا لنشر العقيدة والدعوة الإسلامية: علم الخلاف: وهو علم يعرف به كيفية إيراد الحجج الشرعية ودفع الشبه وقوادح الأدلة الخلافية، بإيراد البراهين القطعية، وهو الجدل الذي هو قسم من المنطق إلا أنه خص بالمقاصد الدينية<sup>(١٨)</sup>. ويجمع علوم الوسائل كتاب للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ وهو خلاصة الوسائل إلى علم المسائل كتاب في مجلد واحد، ذكر الغزالي أنه لخصه من مختصر المزني، وزاد عليه<sup>(١٩)</sup>.

ومن الوسائل المهمة معرفة "النظم الإسلامية" في شؤون المال والاقتصاد والموازين والمكاييل وتحويلها للمفهوم المعروف الآن.

ومن أحسن الكتب في هذا: كتاب الخراج في الدولة الإسلامية للدكتور ضياء الدين الرئيس، وكتاب النظم الإسلامية للدكتور حسن إبراهيم حسن، والدكتور صبحي الصالح. ويلاحظ أن هذه العلوم اللسانية التي هي علوم النحو والتصريف والبيان لم يحتج إليها الصحابة لاعتمادهم على السليقة العربية التي لم تحوهم إلى تعلم هذه العلوم الشرعية وغيرها.

**الخلاصة:**

توصيف العلوم الإسلامية وتعليمها ومناهج تدريسها في ضوء الواقع وتطلعات المستقبل يعدّ ظاهرة طيّبة مباركة تنبع من مبدأ نقد الذات، وترنو إلى مستقبل أفضل في ضوء الحفاظ على منطلقات الأصالة والثوابت، ومراعاة مقتضيات التغيّرات والتطورات، حتى يكون فكر المتخرّج من جامعاتنا منسجماً مع الواقع ومواكبة ظروف العصر، وملتزماً مع أصول الشريعة ومقاصدها، وحتى تظل علومنا الإسلامية أكثر فاعلية وإيجابية، وأكثر حركية وتأثيراً، بغية التوصل إلى الإصلاح والأصلح، والأخذ بمبدأ المرونة واليسر، والسماحة والوسطية والاعتدال، والتطلّع إلى النهضة والتقدّم.

١٧ - كشف الظنون: ١/٦٧٦.

١٨ - كشف الظنون: ١/٧٢١.

١٩ - المرجع السابق، ١/٧١٩.

وهذه العلوم ذات ثلاث شعب تتناول العقيدة والشريعة والوسائل.

### أما علوم العقيدة:

فيراد بها غرس أصول الإيمان الستة في النفوس، وهي الإيمان بوجود الله تعالى وتوحيده، والإيمان بالملائكة، والكتب المنزلة من الله بالوحي الإلهي، وإرسال الأنبياء والرسل عليهم السلام، والإيمان باليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، حلوه ومره. وذلك هو جوهر رسالات الرسل ودعوة الأنبياء الواحدة في منشئها، والسامية في مقاصدها وغاياتها.

وقد كانت هذه العلوم تعالج في مظلة ما يُسمى بعلم الكلام الذي ظهر في الربع الثاني من القرن الثاني الهجري، ونما وازدهر في عهد الخلافة العباسية، ونضج في القرن الرابع.

وهو علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقاد عن مذاهب السلف وأهل السنة والجماعة. والكتب المصنفة فيه كثيرة، لكنها ذات مصطلحات صعبة الفهم في عقول أهل العصر، وفيها تأثر واضح بالمنطق والفلسفة اليونانية التي انتشرت في الساحة الإسلامية في القرن الثاني الهجري، لذا كره بعض الأئمة مثل الإمام مالك والشافعي. وأبي يوسف (يعقوب بن إبراهيم) الاشتغال بهذا العلم، وأصبح الاتجاه الحديث يميل في الغالب إلى دراسة العقيدة في ضوء المنهج القرآني والسنة النبوية، وهو منهج السلف الصالح، كما قرّر الإمام أبو حامد الغزالي وأبو بكر الباقلاني.

ويحسن في عصرنا الحاضر اتباع هذا المنهج المرغوب فيه لبساطته، ودراسة العقيدة الإسلامية في الكتب المعاصرة المعتدلة التي لا إفراط فيها ولا تفريط، ولا تستبد بأفكار معينة منقّرة، ولا تشتت في التزام منهج معين مغلق غير منفتح، ولا يتسرع أحد فيها إلى تكفير أو تضليل أغلب المسلمين في عالمنا الحاضر، ويوضح أصول الاعتقاد بحسن نيته، وبأسلوب يسع الناس جميعاً، فيتأول لمن أخطأ في ظاهر كلامه، ويرشده إلى الصواب، ولا يجور عليه في الاتهام، ويلتمس له عذراً لأن قصده حسن، وغايته شريفة، ويبتعد عن الشرك بُعد السماء عن الأرض، إلا أنه عامي لا يحسن اختيار اللفظ الأحوط والأنسب شرعاً.

فنحن مثلاً مع التصوف المعتدل الذي يراد به شحن النفس بطاقة روحانية كبيرة، ويتبع فيه المتصوف الكتاب والسنة، ويلتزم الفرائض دون تقصير في شيء منها، ويلتزم الأذكار المأثورة والأدعية النافعة، ويجمع بين أفراد الأمة ولا يفرّق الجماعة، أو يزرع الفرقة عمداً وبسوء نية أو جهل لأبسط الأسباب.

## وأما علوم الشريعة:

فهي كثيرة حيث تنوّعت واستقلت عن بعضها في أوائل القرن الثاني الهجري بعد ظهور مدرستي الحديث والرأي، ولا يستغني طالب جامعي عن هذه العلوم كلها في الجملة، وينبغي المحافظة على الثروة القديمة المصنّفة فيها باختيار نصوص من أمهات الكتب المؤلّفة فيها، ليتمرّس الطالب على فهمها وطريقتها، ويألف أسلوبها، ثم تعرض المعلومات المطلوبة بكتب حديثة يضعها أساتذة المقرّر المختصّون.

وتكون أغلبية المناهج فيها بحسب طبيعة التخصص، فمثلاً تدرس العقائد والأخلاق والمواعظ والقصاص القرآني في كليات أصول الدين، لأن المتخرّج سيكون غالباً واعظاً. وتدرس آيات الأحكام في كليات الشريعة، ولكن لا يستغني طالب في اختصاص ما عن الاطلاع على مجمل المعلومات في اختصاص آخر، لأن الواعظ يحتاج إليها للإفتاء، ومدرس الشريعة يحتاج إليها لإقناع غيره بمتانة وأصالة الأحكام الإسلامية.

وعلوم الشريعة الأساسية: هي التفسير والحديث وأصول الفقه والفقه المذهبي والفقه المقارن. والفرعية: هي المدخل الفقهي وتاريخ التشريع الإسلامي والقواعد الفقهية، ونظام الإسلام العقدي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي والتربوي، وحاضر العالم الإسلامي أو جغرافيته لتوثيق الصلة بالأمة الإسلامية والعمل على وحدتها وتعاونها، وتاريخ الفرق والأديان، وعلم الاجتماع والأخلاق، والسياسة الشرعية، ونظام الحكم في الإسلام، والعلاقات الدولية بين المسلمين وغيرهم في الداخل والخارج، والاقتصاد الإسلامي لتعرّف مزاياه بين النظم الاقتصادية المعاصرة، وعلم الحكمة.

ولا بد - وبقدر الإمكان - من اشتغال المناهج على جميع مشتملات كل علم ولو ببيجاز، لأن الدراسة المجزأة أو الاقتصار على بعض مفردات المنهج الدراسي تسيء في تكوين شخصية الطالب وملكاته.

## وأما علوم الوسائل:

فهي كثيرة أيضاً، ويحتاج الطالب لعرفتها والإطلاع عليها، لأن الجهل بها نقیصة وعيب وطعن في التكوين. ومن أهمها علوم اللغة العربية بمختلف فروعها، وعلم الحساب، ومعرفة السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي والعربي والتاريخ الوسيط والحديث. أما علم الحكمة فصار داخلياً إما في مقرّر نظام الإسلام وإما في علوم العقيدة. ومنها علم الاقتصاد الإسلامي وأوضاع المال ونحوها.

هذه العلوم المتعددة لم يكن العرب في صدر الإسلام بحاجة إليها، لاعتمادهم على السليقة، ولعمق تأملهم وإدراكهم لنصوص الشريعة، ومبادرتهم إلى التطبيق والعمل والتنفيذ أكثر من الإغراق في النظريات والفلسفات.

وأما من يسمون بالحدائثيين فهم مشبهون مفتونون بحضارة الغرب، مما يدفعهم لإهمال أصول الإسلام وتأويلها خطأ أو الجرأة على نسخ الأحاديث بمحض رأيهم وزعمهم.

\* \* \* \*